

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في 23 شباط (فبراير) 2023، في قاعة محاضرات حرم العلوم الإنسانيّة، في اليوم المخصّص للأبحاث في العلوم الإنسانيّة في كليّة العلوم الإنسانيّة : "العشريّيات الأولى من القرن الواحد والعشرين، نقطة تحوّل في مجال الأبحاث المتعلقة بالعلوم الإنسانيّة".

لا يسعني إلّا أن أهنئ السيّد العميدة ومجلس كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة على الخطوة الجريئة التي اتّخذت من أجل تنظيم هذا الوقت المكثّف المخصّص ليوم يتمّ خلاله التفكير في موضوع كاد يصبح من المحرّمات، ألا وهو البحث في العلوم الإنسانيّة. كلّ شيء يساهم في الوقت الحاضر في التحرك وبدء القيام بأبحاث جديدة نظرًا للأزمات المتتالية، بدءًا من وباء جائحة كوفيد 19، حتّى الانفجار الإجماعيّ لمرفأ بيروت وآثاره المدمّرة، ومقتل أكثر من 250 شخصًا، وآلاف الجرحى والمعاقين، ومدينة يتيمة وتراث منهوب بوحشيّة. كارثة الانفجار، لسنا مستعدّين لنسيانها، وكيف ننساها، وهي التي تسكن أجسادنا وقلوبنا ونفوس أهالي الضحايا الذين ينتظرون العدالة ؟

في هذا السياق، السؤال الذي أودّ أن أطرحه على نفسي هو التالي وهو موجّه إلى الباحثين في الجامعة ولا سيّما الباحثين في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة : هل يمكننا إجراء بحث في العلوم الإنسانيّة من دون الأخذ بعين الاعتبار تداعيات انفجار 4 آب (أغسطس) ومن دون النظر في آثار هذه الكارثة ؟ المعادلة بسيطة وتستحقّ النظر إليها عن كثب، لا بل الاحتفاظ بها : إذا كان العام 2020 هو عام انتشار وباء "كوفيد" 19، أحد أكبر القتل في التاريخ، مخلّفًا وراءه 6 ملايين و 900 ألف حالة وفاة معلنة، وإذا كان هذا الانفجار قد تسبّب في التساؤل الجادّ حول علوم الحياة والعلوم الطبيّة غير القادرة على كبح الجائحة أو إيقافها، باختصار تقديم إجابات صحيحة، هذا العام سيكون دائمًا، بالنسبة إليّ وبالنسبة إلينا، عام انفجار 4 آب (أغسطس) 2020، هنا بالذات في بيروت. بالتالي، وفي إطار جامعة القديس يوسف، ما كان ردّنا على هذه المأساة التي تلاحقنا ؟ بالطبع، شرعنا على الفور بالقيام بعمل أساسيّ على الصعيد الإنسانيّ، ومدّد يد المساعدة من أجل إعادة الإعمار، وتأمين الراحة النفسيّة ؛ لا ننسى استجابتنا الهائلة على المستوى الطّبي والتي ترتّبت علينا، وكان هناك بعض الأعمال البحثيّة على صعيد الطّب، والهندسة، والإحصاءات، لكنني لا أعرف تمام المعرفة إذا كان البحث والباحثون في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة متنبّهين تمامًا للآثار الاجتماعيّة والإنسانيّة التي سبّبتها الكارثة ؛ ونتيجة لذلك، فإنّ السؤال يطرح نفسه اليوم وغدًا وهو التالي : ما كانت وما هي مسؤوليتنا

الأخلاقية والأكاديمية للمساهمة، من خلال الدراسات العلمية والمستمرّة، في الأخذ على عاتقنا آثار الانفجار وعواقبه المدمرة على مختلف الجوانب الاجتماعية، والتاريخية والاقتصادية ؟

ومع ذلك، ووفقاً لدينامية الاحتياجات البحثية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والشكوك التي تساور العلوم الطبيعية، إنّها اليوم لفرصة متاحة لنا لإعادة إلزام أنفسنا بهذا البحث من خلال مشاريع تثير اهتمامنا بتاريخنا، ولا سيّما ذلك التاريخ الذي يؤلمنا. لطالما كانت جامعة القديس يوسف هي الابنة التي يحملها مجتمعها، فالنظر في هذا الشرّ المرتكب ضدّ شعب بأكمله لهو واجب تضامنيّ مع مجتمعنا.

يصبح المرء باحثاً، لا سيّما في العلوم الإنسانية، من خلال تحديد أساليب البحث التخصصية والمتعدّدة التخصصات، الكمية والنوعية، وميدانياً، بغية جمع البيانات وتحليلها وتطوير هذه الأساليب.

يصبح المرء باحثاً في العلوم الإنسانية من خلال الإشراف أو إجراء التحقيقات، والملاحظات وجمع المعلومات حول موضوع البحث، وأنا متأكد من أنّه متعدّد للغاية، من دون الخوض في جميع التفاصيل. على الهامش، يفسّر هذا الباحث البيانات التي تمّ جمعها ويضفي شكلاً على النتائج التي تمّ الحصول عليها. إنّ حضور البروفسور برونو فاليسار Bruno Falissard بيننا اليوم ومحاضرتة واقتراحاته يمكن أن تكون فرصة رائعة للمضيّ قُدماً في برمجة أبحاثنا وتقديمها الجريء والمدعوم. علينا ألاّ ننسى أنّ الباحث الحقيقيّ هو الذي ينشر ليصنع اسماً لنفسه وللمؤسسة التي ينتمي إليها.

من الواضح، ومن دون أن نحصر أنفسنا في مأساة 4 آب (أغسطس) 2020 وتداعياتها، لدينا العديد من الموضوعات والمواضيع الأخرى التي يمكننا التطرّق إليها ومعالجتها، بدءاً من الأزمة الاجتماعية والمالية اللبنانية وظواهرها الاجتماعية والإنسانية، والأزمة السياسية التي يتحمّلها السياسيون أكثر من غيرهم على وجه هذه الأرض، ومواضيع أخرى تتعلّق بالذكرى المئوية للبنان الكبير وال 150 عاماً على تأسيس جامعة القديس يوسف الكبيرة أو الأعمال التي سبق وقامت بها الكلية حول العنف ومكوّنات الهوية اللبنانية. كلّ هذا يمكن تطويره في مواضيع تُعرض على مجلس البحوث الذي ينتظر فقط مشاريعكم لتبنيها وجعلها أحداثاً مميّزة.

أتمنّى لكم حظاً موفّقاً في أعمالكم في هذا اليوم الذي أتمنّى أن يكون مثمراً.